مجله	حضارة الاسلام
تاریخ نشر	۱۲۹۸ ک
شماره	هفت سال نوزدهم
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	عبدالرحیم ابیات
تعداد صفحات	۶۲ - ۶۷
موضوع سرفصلها	من عبق الدعره
کیفیت	
ملاحظات	

من عمق الدعوة

للأستاذ محمد ابراهيم بنات

ان دعوتنا الخالدة في عصر جاهلية هذا القرن في حاجة ماسة الى التزام المسلمين ووعيهم واعتصامهم ، وهو التزام اساسي وضروري يجعل المتشبث به ومن يتحلى به يعيش في قمة بدينه ، وينظر الى هذه الجاهلية نظرة شزراء ، فهي عنده في الحضيض : انسانها قزم يحاول ان يتعملق ، وانسان الاسلام هو النموذج الاسمى والمثل الاعلى للانسان الكامل ، حلم فلاسفة الغرب الذي لم يتحقق منذ اقدم العصور ، وحققه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في اقل من ربع قرن .

انسان الجاهلية الحديثة يحاول ان يتسلق قمة الكمال الى سعادته المنشودة على سلالم عرجاء من ديمقراطية مزيفة جوفاء ، فيتربع على عرش الكمال الموهوم ، حتى اذا شاء شياطين الانس احياء ماضيه هووا به الى الحضيض في اسرع من لمح البصر .

وقضايا « ووترغيت » و « براندت » ووزير بريطانيا الفاسق ليست عنا ببعيدة ، والجعبة مليئة بالاخبار عن فسق وانحراف رجالاتهم الكبار ، طافحة بالكثير الكثير عن نفاق حضارتهم .

المثل الاعلى للحضارة الغربية في ممثلي السينما والراقصات وانصاف المتوهين من الرسامين ، والعته الذي فيهم وفي غيرهم من الفنانين ليس ناشئا عن حالات مرضية عادية ، وانما هو انحراف في التعبير الفني ، يحرمهم من معاناة الحياة — على المستويين الفردي والجماعي — بحرارة وامانة وصدق ومشاركة وجدانية ، وبالتالي يقطع كل صلة لهم بأي صورة من صور الصدق الفني ، والناقد الفني الصريح مع نفسه ومع من يكتب لهم يجد — في ضوء التحقيق والتدقيق — ان الفن الاوروبي في اغلب « تقليعاته » الحديثة لا يمت بصلة الى اي حقيقة من حقائق الاصالة الفنية .

وعلى هذا الاساس فالفن — كما يؤكده الواقع ويشهد به عندهم — يساوي العفن ، فهو في عالمهم لا يجسد ويحقق الا المسخ والتزييف والاسفاف والانحراف والتمييع ، فالعته بهذا المفهوم عند انسان الغرب صنو للعمه الذي يعانيه ، وهو

ليس ناتجا عن نقصان عقل وانما عن نقصان ايمان ، وهو نقصان تجاوز الحد مما جعله لا يؤمن حقيقة ولا يهتدي أصلا .

ليس في كل ماذكرنا عن عمه انسان الغرب وعته رجال الفن فيه مايدعو العجب او الاستغراب ، لانه من ضروريات جاهليته وحتميات حضارته ، وماهي حضارة الغرب ؟ اليست المادية الطاغية هي الغاية!؟ وماجاهليته ؟ اليست ضلالا في ضلال ، وكفرانا في كفران !؟ « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون »(١)

« من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون »(٢) .

اما انسان الاسلام فمثله الاعلى الانبياء عليهم سلام الله الذين كانت دعوتهم : « ان الدين عند الله الاسلام »(٣) وفي الصديقين والشهداء والصالحين الذين اقتدوا بهم والتزموا هديهم ، واعتقدوا وتيقنوا بانه لا قيمة للحياة ولا قمة لانسانها الا بالايمان وعمل الصالحات ، وبدونها لن ينتظر هذا الانسان ولن يلقى الا الخسر ، فهو مصيره وهو جزاؤه .

والايمان وعمل الصالحات كما يريد هذا الدين وكما بين واكد هذا القرآن ودعا ووجه اليهما وبرهن عنهما هما الحل : « .. والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق تواصوا بالصبر » .

ان ما وصلت اليه هذه الجاهلية من خسر ، نابع من واقعها الاليم ينذر بساعة الخطر التي ازفت والتي تؤكد انها في تهافت واندحار وافول ، وانسانها الشقي(٤) يقاسي بسببها شتى انواع الحرمان واللعنة والزيغ .. وحدث ولا حرج .

وكما قدمت لهذه المقالة اعود لاقول — موضحا ومحللا — : ان بيت القصيد بالنسبة لنا هو ان نلتزم على ضوء حديثه صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن

---

١ — الاية ٤ من سورة « النمل »

٢ — الاية : ١٨٦ من سورة « الاعراف »

٣ — الاية : ١٩ من سورة « ال عمران »

٤ — شاع استعمال « عانى وقاسى من كذا » وهو استعمال غير صحيح ، فالفعل لا يأتي متعديا بمن ، والصحيح ان يأتي متعديا بنفسه ، جاء في الاساس : « يُعاني الشدائد » عن مجلة التضامن الاسلامي السعودية سنة ٣٠ عدد ٤ — ٥ — استعمالات لغوية معاصرة للاستاذ محمد حسن عبد العزيز

حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ولا يزيغ عنه »(٥)

فبالالتزام والتضحية والاخلاص والصبر والصمود انتشر الاسلام وساد حضارته واهله، ولا تسأل عن القدوة الصالحة والمثل الحي فهما ناتجان عن الالتزام.

وعلينا أن لا نمل او نياس لقلة العمل الاسلامي واعرض الناس عنه وضيق طاقته ، حتى ان هناك من يقول بانعدام وجوده او يكاد ، وبدون تعليق اقول في ضوء التحقيق : ان دعوة الحق في عهد البعثة المحمدية كانت تدريجية ، بمعنى لدحر الباطل لا بد من ان يكون الاصح تدريجيا ، وطبعا لكي يكون جديا لا بد من ان يكون جذريا : بتصحيح عقيدة المؤمن ، وتجديد ايمانه ، وتكوينه كما يريد الله الدين ، وبذلك يتجدد العمل بالاسلام بانبعاث القاعدة الصلبة التي تفرض وجود الاسلام وتحتم عودة الحاكمية اليه ، وبغير هذه الجذرية الاسلامية يستحيل اي تغيير .

وبصراحة اقول : ان من يكتفي باصلاح الظاهر ، ويحاول التغيير طفرة يطلب مستحيلا ، ويزيد الفساد تعقيدا ، والفتنة جسامة ، والوضع افلاسا ، والشر انتشارا ، والمنكر سادة ، وهكذا فالافساد كان بالتخطيط وكذلك يكون الاصلاح ، هذا ما علمتناه **مراحل الدعوة الاسلامية بمكة اولا وبالمدينة اخيرا** .

ومن أعدائنا نتعلم اعادة التخطيط وجدية العمل من اجل باطلهم لنشر حقنا ، والواقع يؤكد انهم حيثما كانت تخفق لهم طريقة او ينجح لهم تخطيط يحاولون ويعملون ليحققوا نجاحا اكثر ، وباستمرار ومثابرة دائمين دائبين .

وببلاد الاسلام كم غيروا واستعملوا من وسائل، وبذلوا من جهود واموال، واتخذوا من عدة وعدد ، ولكن كان نجاحهم الاكبر والاخير في اتخاذ تلامذة(٦) يرثونهم ويخلصون لهم وينوبون عنهم في ارض الاسلام لاستمرار الاستعمار بشكل آخر ، وقيادة عالمنا الاسلامي في ركاب الجاهلية دوما وابدا .

ان الدعوة الى الله تحتاج الى الكثير الطيب والكثير المتنوع من الاعمال والوسائل باخلاص ومنهجية وحركية دائمة كما علم ووجه قرآننا ، وكما علمت ووجهت السنة النبوية مع مواكبة الجهود لها واقبال الافراد عليها :

٥ ــ رواه البخاري باسناد صحيح والحافظ ابو نعيم في (الاربعين) ورواه الطبراني بزيادة : (ولا يزيغ عنه)

٦ ــ انظر بحث (ابن محاضن الجيل المسلم) للاستاذ يوسف العظم .

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم »(٧) . « واعتصموا بالله هو مولاكم »(٨) . « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »(٩) . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »(١٠) .

« جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم » .

« الدين النصيحة .. » . « بلغوا عني .. » .

لا مناص من التخصيص لاوقات الدعوة والتفرغ لها ، واغتنام فرصها ، او ايجادها ان امكن ، **مع تطليق الراحة** ، لانه لا راحـــة في عصر كعصرنا ، فالراحة في عهد هذه الجاهلية الرهيبة تعد غفلة بل خيانة ، وصدق الفاروق عمر عليه الرضوان حينما اعلن عن هذه الحقيقة منبها وموجها جنود الدعوة ورجال الاصلاح : «الراحة للرجال غفلة »(١١) .

والتخصص في ميدان الدعوة ما اعظمه ، وكم يحقق من ايجابية ، ولكن في حدود معرفة لغات الغير للاستفادة العلمية عموما ، فهذه المعرفة تمكن من دعوته بلغته واقامة الحجة عليه ورد شبهاته والمقارنة بين جاهليته واسلامنا ... الخ ، ولكن بشرط ان تكون دعوة المسلم له من موقف القوة على اساس ان المدعو متهم في عقيدته يعيش في جاهلية مجرمة ، تحط من قيمته كانسان كرمه الله تكريما ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا ، وتشوه فطرته السوية ، وتغريه بالاعتزاز بحضارة مادية منحلة ، وتزين له الاعتقاد في علمانية متهافتة .

فالمسلم بحكم قوة عقيدته وصحة شريعته وسلامة قيمه يجب ان يكون دائما في مركز القوة في كل مناسبة وعلى اية حالة ، يدعو لحقه بصفة مباشرة وغير مباشرة ، وخلال دعوته يمضي قدما ونصب عينيه دائما شعار المؤمن الحق :

« وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين »

وهذا المؤمن وهو في ميدان الدعوة والدفاع عن الحق ، يتحين الوقت

٧ ــ الاية ٧٨ من سورة « الحج »

٨ ــ الاية ٧٨ من سورة « الحج »

٩ ــ الاية ١٠٣ من سورة « ال عمران »

١٠ ــ الاية ١٠٥ من سورة « التوبة »

١١ ــ كتاب (ادب الدنيا والدين) للماوردي ص ٨٢

المناسب لكيفية الدعوة ولوسيلة دفاعه فيبرز وينتهز ، فان دعا فللفرض حق ولقضاء على باطل كيفما كان ، وان دافع فللفضح العدو.ولاظهار باطل الغير والتشهير بخوانه ومواطن الضعف فيه ، فيكون قد طبق المفصل واصاب المحز : عرف بالاسلام وفضح الجاهلية وبرهن على فراغها ، وبين مدى ماتدهورت اليه من حضيض ، وما نجح في الدعوة والدفاع الا لانه في مستوى مسؤولية الدعوة .

اسلامنا لا يمكن ان يكون في قفص الاتهام ، فهو الدين الحق الذي اظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون والكافرون في الماضي والحاضر والمستقبل حتى يأتي أمر الله ، فهو يعلو ولا يعلى عليه ، وانسانه في علياء وقوة وعزة :

« وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين »(١٢) . « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »(١٣) « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... »(١٤) .

أما أن نتقاعس ونحجم ونبرر وندعي عدم تخصصنا فسيكون تصرفنا هذا وفهمنا علينا لا لنا ، لان التخصص المقصود لا يتحقق الا للقليل المستعد ذي القابلية ، واعداؤنا لن يسمحوا لنا ولن يتركوا لنا الفرص لنعمل لهذا التخصص فقد دسوا بيننا الخونة والمغرورين المغترين من اذنابهم ، لانهم ادركوا بجلاء ووضوح الخطر الذي سيتعرضون له لو تبنا الى ربنا وثبنا الى رشدنا بالعودة الى ديننا ، وهم يعملون ليل نهار للحيلولة دون ذلك مطمئنين لما يحققونه من نجاح جزئي في تغيير وطمس بعض مظاهر حياتنا الاسلامية ، واحلال بعض « وصمات » جاهليتهم وصليبيتهم محلها ، ونحن مقصرون تقصيرا لانحسد عليه في تغيير ما بانفسنا ، ونطمح ان يغير الله مابنا ، وكثير من دعاتنا يحلمون بالمستحيل ، اي نقل مكان الدعوة ومجالها الى ديار الكفر والشرك !! كيف يكون هذا واغلب المسلمين اليوم حجة على دينهم ؟!

في موضوع الاستطاعة وعدمها يجب تبيان حقيقة ، وهي ان الكثير من المسلمين — حتى الخركيين منهم — يدعون او يتذرعون بعدم الاستطاعة وقلة الامكانات في ميدان الدعوة والعمل والاصلاح والتغيير ، قبل ان يخوضوا ويحاولوا ، او قبل ان يجربوا ويعملوا .

١٢ — الاية ١٣٩ من سورة « ال عمران »
١٣ — الاية ٩ سورة « المنافقون »
١٤ — الاية ٦٠ من سورة « الانفال »

وهذا التبرير حجة عليهم ، فعليهم ان يجربوا اولا في حدود الطاقة ، وكل له طاقة ، وفي دائرة المسؤولية ، وكل له مسؤولية ، فان لم يستطيعوا او اخفقوا فهم مخلصون ماقصروا ، ابرياء لا خونة ، يؤيدهم قول الله تعالى على لسان نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام ، لا تتوقف لهم محاولة ، ولا ينقطع لهم أمل ، يداومون ويعيدون الكرة تحملا لعبء الدعوة وواجب التضحية : « ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب .. »(١٥)

وعودة ختامية للدعوة والتخصص تدعوني الى البوح بحقيقة هي من عمق الدعوة :

ان التخصص الوحيد بالنسبة للمسلم يكمن في الاخلاص ، فهذا هو التخصص الذي ينقصه ، وانعدامه سهل على اعدائنا العمل الكبير لتحريفنا عن ديننا وتحويلنا الى جاهليتهم .

هذا النوع الفريد من التخصص ، به حقق سلفنا الصالح ماحقق من دعوة ونصر ، وهداية وانقاذ ، لانه عرف دوره في الحياة وقدر وظيفته كما علمه رسول الله عليه الصلاة والسلام : « بلغوا عني ولو آية ... »

ولو آية ! هذا هو جوهر الدعوة الحتمية في الاسلام ، التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو نقطة الانطلاق للمسلم الحركي الملتزم ، هذا المسلم الفذ الذي درى ووعى ، وفكر وقدر ، واقبل وتقدم ، فبلغ عن رسول الله الخير القليل الذي عرفه ووعاه من امر دينه الكافي الهادي ، اما الكثير فما كان ليبخل به ، لان الرسول وجهه الى ضرورة الدعوة في حالة ماقل او كثر مما علمه الله ورسوله ، فعمل به واستيقنته نفسه وتشبعت به أعماقه ، فهو كما رباه صلى الله عليه وسلم يدرك حقيقة فطن اليها فتشبع بها ، لها علاقة وثيقة واساسية بالدعوة ، وهي ان المسلم بحكم اسلامه طالب علم بدين الله وداعية اليه بالفطرة والضرورة ، وبالحال والمقال ، في ضوء التزامه لا يعرف التناقض سبيلا الى واقعه بين قوله وفعله .

ولهذا فهو دائما يجول ويجاهد ، يكد ويجتهد في سبيل الحق ، وهذا خير دليل على ايجابية انسان الحق ومنهجية دعوتنا التي تنم عن واقعية اسلامنا .

١٥ — الاية ٨٨ من سورة « هود »